ومعنى (يد الله مغلولة) الوصف بالبخل في العطاء لأن العرب يجعلون العطاء معبرا عنه باليد ويجعلون بسط اليد استعارة للبذل والكرم ويجعلون ضد البسط استعارة للبخل فيقولون : أمسك يده وقبض يده ولم نسمع منهم : غل يده إلا في القرآن كما هنا وقوله (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) في سورة الإسراء وهي استعارة قوية لأن مغلول اليد لا يستطيع بسطها في أقل الأزمان فلا جرم أن تكون استعارة لأشد البخل والشح .

A E هذا فقولهم . الذم بصفات تعالى الله وصف دينهم في يجوز فلا ودين إيمان أهل واليهود : إما أن يكون جرى مجرى التهكم بالمسلمين إلزاما لهذا القول الفاسد لهم كما روي أنهم قالوا ذلك لما كان المسلمون في أول زمن الهجرة في شدة وفرض الرسول عليهم الصدقات وربما استعان باليهود في الديات . وكما روي أنهم قالوه لما نزل قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) فقالوا : إن رب محمد فقير وبخيل . وقد حكي عنهم نظيره في قوله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) . ويؤيد هذا قوله عقبه (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) . وإما أن يكونوا قالوه في حالة غضب ويأس ؛ فقد روي في سبب نزولها أن اليهود نزلت بهم شدة وأصابتهم مجاعة وجهد فقال فنحاص ابن عازورا هذه المقالة فإما تلقفوها منه على عادة جهل العامة وإما نسب قول حبرهم إلى جميعهم لأنهم يقلدونه ويقتدون به .

وقد ذمهم الله تعالى على كلا التقديرين إذ الأول استخفاف بالإسلام وبدينهم أيضا إذ يجب تنزيه الله تعالى عن هذه المقالات ولو كانت على نية إلزام الخصم والثاني ظاهر ما فيه من العجرفة والتأفف من تصرف الله فقابل الله قولهم بالدعاء عليهم . وذلك ذم على طريقة العرب .

وجملة (غلت أيديهم) معترضة بين جملة (وقالت اليهود) وبين جملة (بل يداه مبسوطتان) . وهي إنشاء سب لهم .

وأخذ لهم من الغل المجازي مقابلة الغل الحقيقي في الدعاء على طريقة العرب في انتزاع الدعاء من لفظ سببه أو نحوه كقول النبي صلى الله عليه وسلم " عصية عصت الله ورسوله وأسلم سلمها الله وغفار غفر الله لها) .

وجملة (ولعنوا بما قالوا) يجوز أن تكون إنشاء دعاء عليهم ويجوز أن تكون إخبارا بأن الله لعنهم لأجل قولهم هذا نظير ما في قوله تعالى (وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله) في سورة النساء .

وقوله (بل يداه مبسوطتان) نقض لكلامهم وإثبات سعة فضله تعالى . وبسط اليدين تمثيل

للعطاء وهو يتضمن تشبيه الإنعام بأشياء تعطى باليدين .

وذكر اليد هنا بطريقة التثنية لزيادة المبالغة في الجود وإلا فاليد في حال الاستعارة للجود أو للبخل لا يقصد منها مفرد ولا عدد فالتثنية مستعملة في مطلق التكرير كقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) وقولهم " لبيك وسعديك " . وقال الشاعر " أنشده في الكشاف ولم يعزه هو ولا شارحوه " : .

جاد الحمى بسط اليدين بوابل ... شكرت نداه تلاعه ووهاده وجملة (ينفق كيف يشاء) بيان لاستعارة (يداه مبسوطتان) . و (كيف) اسم دال على الحالة وهو مبني في محل نصب على الحال .

وفي قوله (كيف يشاء) زيادة إشارة إلى أن تقتيره الرزق على بعض عبيده لمصلحة مثل العقاب على كفران النعمة قال تعالى (ولو بسط ا الرزق لعباده لبغوا في الأرض) .

(وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) عطف على جملة (وقالت اليهود يد ا مغلولة) . وقع معترضا بين الرد عليهم بجملة (بل يداه مبسوطتان) وبين جملة (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء) . وهذا بيان للسبب الذي بعثهم على تلك المقالة الشنيعة أي أعماهم الحسد فزادهم طغيانا وكفرا وفي هذا إعداد للرسول E لأخذ الحذر منهم وتسلية له بأن فرط حنقهم هو الذي أنطقهم بذلك القول الفظيع .

(وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة)